

معركة تحرير القدس

خلال ثورة عام ١٩٣٨

عبدالعزیز أمين عرار^{*}

وبئر السبع في ٩ أيلول، ورام الله في تموز، والقدس القديمة من ١٣-٢٠ أيلول، وطبريا في تشرين أول. وكان الثوار يتجولون في نابلس دون أن يعترضهم أحد. وجرت حرب شوارع في يافا وحيفا. وقد سهل رجال البوليس العربي الفلسطيني هذه الهجمات.^١

معركة تحرير رام الله

في أواخر تموز ١٩٣٨ م استطاع فريق من المجاهدين يقودهم القائد محمد العمر النوباني «أبو شوكت» أن يحتلوا مدينة رام الله لمدة ثمان وأربعين ساعة. وأن يخرجوا منها القوات الإنجليزية. ولكن الجنود البريطانيين عادوا وتدفقوا من جهتي القدس ونابلس. وتدفقت النجذات على الثوار، فاشتبك المجاهدون معهم في معركة دموية. وقد استطاع الثوار إسقاط طائرة. واستشهد منهم ٢٥ ثائرا. كما أن عدداً غير قليل منهم جرحوا في المعركة. وأسر الإنجليز ثلاثة منهم. ونفذوا فيهم حكم الإعدام لاحقاً. ومنهم المجاهد الجريء جورج الصاع من أبناء رام الله. وكان حصيلة القتلى ضابط بوليس واحد و٨٧ جندياً.^٢ وقد أشرف على المعركة القائد عارف عبدالرازق (من طيبة بني صعب). وكان دخوله واستقباله في رام الله استقبالاً حافلاً.

نجح الثوار خلال الثورة الفلسطينية الكبرى خلال العامين ١٩٣٧-١٩٣٨ م في بسط نفوذهم في المناطق الجبلية. وبلغ من قوة الثورة أنها منعت أبناء القرى من الذهاب للمحاكم الرسمية. وشكلت بدلاً منها محاكم شعبية. وقد نجحت هذه المحاكم في حل الخصومات بين الناس. كما أن قيادة الثورة أمرت بوقف المطالبة بسداد الديون. ومنع الملتزمين من التعهد للحكومة بشق الطرقات العامة أو تعبيدها أو بناء مراكز البوليس. وأمر هؤلاء القادة بعدم الاستجابة لطلب الحكومة من الأفراد بالحصول على الهويات الشخصية. وطلبت من أبناء المدن لبس الكوفية والعقال. لباس الفلاحين. بدلاً من الطربوش. لباس الرجال في المدن. حتى يختفي الفلاحون الثوار في المدن ولا يسهل القبض عليهم. لقد استفحلت الروح الوطنية والقومية لدرجة عبر فيها قائد الجيش الجنرال هايننغ الذي حل محل الجنرال ويفل بتاريخ ٩ نيسان ١٩٣٨ م عن الحال بقوله «أن روحاً ثورية عميقة الجذور اكتسحت العرب وحفزتهم إليها الدعوة إلى حرب مقدسة»^٣ بعد نجاح الثورة في الريف وتوسعها وسيطرتها على المناطق الجبلية. نشطت سنة ١٩٣٨ م عمليات فصائل الثوار داخل المدن. وراحت تشن حملاتها على المراكز والمعسكرات في داخلها. مدعومة من السكان داخل وخارج المدن. وبدأت أولى المعارك داخل المدن الخليل. فاحتلها الثوار في شباط ١٩٣٨ م. واحتلوها مرة ثانية في أيار من نفس العام. واحتلوا جنين في آذار. كما احتلوا بيسان في نيسان

١ أبو غربية، بهجت، في خضم النضال العربي الفلسطيني. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٧، ص ١١٩.

* مفتش التاريخ في مديرية التعليم في محافظة قلقيلية. ويحمل الماجستير بالتاريخ. وهو مهتم بتاريخ ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩.

٢ المصدر نفسه، ص ١١٩-١٢٠.
٣ ياسين، صبحي، الثورة العربية الكبرى في فلسطين، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص ٦٥-٦٦.



حواجز تفتيش للجيش الإنجليزي عند باب الخليل.

تحرير القدس لعدة أيام

اهتم القائد عارف عبدالرازق بتحرير القدس التي ينظر لها مثل أي عربي أو مسلم على أنها مهجة القلب. ويعتبرها من تراثه الروحي، وعنوان حضارته. وهو الذي خاض معارك عديدة في جبال وأودية فلسطين. وأمام اشتداد الثورة ونجاحها في احتلال عدة مدن وخوض معارك فيها مع الجيش الإنجليزي، جاء قرار الثوار بتتويج عملهم باحتلال القدس وتحريرها، وهو الأمر الذي تحقق لبضعة أيام.

لم يعبأ الثوار ولا سائر أبناء الشعب الفلسطيني بأحكام الشنق والتعذيب ونسف البيوت والتفتيش والتطويق التي قامت بها حكومة الانتداب. وقد تقلصت سلطة الحكومة في هذه السنة إلى حد كبير حتى بات ثوار فلسطين قادرين على اقتحام المدن وخوض معارك بأسلحة فيها وأجبروا القوات البريطانية على إخلاء المدن لساعات وبضعة أيام. هذا على الرغم من أن خبير العصابات البريطاني تشارلز تيجارت قام ببناء نحو خمسين عمارة كبيرة (مقاطعات)، عرفت باسمه وبنيت عند أطراف المدن. وقد نقلت إلى هذه العمارات جميع دوائر الحكومة وجميع مقرات الشرطة والبوليس والموظفين العرب. وذلك كي تكون قوة متجمعة جاهزة للعمل والهجوم. وزودت كل واحدة منها بسجن كبير، وزاد



من اليمين فارس العزوني، عارف عبد الرزاق ومحمد العمر النوباني.

على ذلك بعمل سور واقى من الأسلاك الشائكة لفصل فلسطين عن سوريا ولبنان وسمي سور تيجارت.^٤

بدأ الثوّار في داخل المدينة بشنّ هجمات على رجال المباحث. وقتلوا عدداً منهم. وواصلوا أعمالهم حتى خلت البلدة القديمة من أية مظاهر للسلطة الإنجليزية فيها. وكان هؤلاء الثوّار أيضاً يطلقون النار على أية دورية تحاول دخول البلدة فأصبحت البلدة القديمة بلدة محررة خصوصاً في الفترة ١٣ - ٢٠ أيلول سبتمبر ١٩٣٨.^٥

وبناءً على الخطة التي أعدها القائد عارف عبدالرازق «أبو فيصل». فقد طلب من أفراد فصيلة هو. وفصيل حمد الزواتي «أبو فؤاد» وفصيل فارس العزوني «أبو معروف». وفصيل محمد لعمر النوباني «أبو شوكت». العمل على تحرير القدس. وقام بتنظيم ثوّار هذه الفصائل. وجهازها لاحتلال القدس القديمة. وأمر كلاً من القائد فارس العزوني. والأخوين حافظ ومحفوظ عبدالمجيد. من كفر الديك. أن يدخلوا سراً إلى المدينة من أجل ترتيب الفصائل النائرة تحت إمرتهم. ووضع فصائل على مقربة من الطرق المؤدية للخارج لتقف في وجه أي قوات تجلب لداخل الأسوار. وتم للقائد عبد الرزاق معرفة أسرار مركز الشرطة في المدينة من خلال المعلومات التي قدمها ضابط الشرطة العربي جميل العسلي. وكان الفدائيون داخل المدينة ينسّقون جهودهم مع الثوّار من خارجها. وقد عرفوهم بجغرافية القدس القديمة وشوارعها. وكان من هؤلاء الثوّار المقدسيين بهجت أبو غربية وفوزي القطب. وشكيب القطب.

نجح الثوّار في تحرير المدينة لمدة تزيد على ثلاثة أيام. وسيطروا فيها على مركز الشرطة. وهرب من فيه واستولى الثوّار على معداته. مرّت ثلاثة أيام والأعلام الفلسطينية ترفرف في سماء المدينة وعلى أسوارها وفوق المآذن ومراكز الشرطة. والسكان يهللون ويهتفون بالنصر.^٦ وخلال الأيام الثلاثة هذه لم يبق في القدس بيد السلطة الإنجليزية غير مركز الشرطة الصغير في الحي اليهودي. القشلة (البنية العثمانية القديمة). الواقع بالقرب من باب الخليل.^٧

٤ بهجت أبو غربية. مصدر سابق. ص ١٠٨.

٥ المرجع نفسه. ص ١٠٨.

٦ عبد الرزاق. فيصل عارف. مصدر سابق. ص ١٧٧-١٧٨.

٧ عبد الرزاق. فيصل عارف. أمجاد ثورية. مطبعة ابن خلدون. الطيبة. ١٩٩٧. ص ١٧٨.

يذكر المناضل بهجت أبو غربية. وهو أحد فدائيي المدينة آنذاك. الطريقة التي استردت بها القوات البريطانية زمام الموقف. فيقول أن الإنجليز ساروا في عدة مراحل. بدأت الأولى بإقامة مواقع عالية وقريبة من السور. وإطلاق نيران الرشاشات الثقيلة منها ليلاً ونهاراً على أي شيء يتحرك. ورغم ذلك فقد استمر الثوّار في إدخال البنادق والرشاشات من بعض مناطق السور. وفي المرحلة الثانية استخدم القوات الإنجليزية الطائرات. وقد حُلقت فوق المدينة واستخدمت الرشاشات والقنابل ضد سكّانها. مما ساعد الجيش على السيطرة على بعض الشوارع. وأوقع عديد القتلى والجرحى. وخاصة من الفقراء الذي خرجوا باحثين عن طعام. وفي المرحلة الثالثة. وقد ابتدأت في ١٨ أيلول. ألقت السلطة الإنجليزية المنشورات من الطائرات. وقد حذرت فيها وتعدت السكّان العرب. وأعلنت أنها ستقتحم المدينة وتقتل كل من يواجهها. وفي هذه الأثناء جرى اتصال هاتفى بين كبار رجال الحكومة وبين الناصر شكيب القطب. وكان جوابه للسلطة باسم الثوّار «لن نستسلم».^٨

استغرقت عملية دخول الجيش الإنجليزي البلدة إلى أن وصل سوق العطارين ثلاثة أيام. بينما بقيت أحياء أخرى غير محتلة. وقد أعلنت القيادة العسكرية كذباً أنها فتحت المدينة. فخرج الناس من بيوتهم وتدفقوا لرؤية بعضهم. وفي وسط الزحام دخل الجيش محمياً بالناس المزدحمين في الشوارع. وتفرق الثوّار بينما قام الجيش بحملة اعتقالات واسعة. وقبضوا على الناصر الشيخ شكيب القطب. وقام المحققون بتعذيبه عذاباً مهيناً ووحشياً في سجن عكا ثم في سجن المزرعة. وقد ترك التعذيب به عاهات دائمة بقي يعاني منها طيلة حياته.^٩

المراجع

أبو غربية. بهجت: في خضم النضال الفلسطيني. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت. ١٩٩٧.
عبدالرازق. فيصل عارف: أمجاد ثورية فلسطينية. مطبعة ابن خلدون. الطيبة. ١٩٩٧.
عرار عبدالعزيز: الناصر فارس العزوني. جمعية كفرثلث الخيرية. ٢٠٠٥.

ياسين. صبحي. الثورة العربية الكبرى في فلسطين. دار الكتاب العربي. القاهرة.

٨ أبو غربية. مرجع سابق. ص ١١٠.

٩ المرجع السابق نفسه. ص ١١١.